

نشاط

الإرسالية الأمريكية العربية

للتبشير

في شرق الجزيرة العربية

د. عبد الله ناصر السبيعي

كان من أهم سمات النشاط الأمريكي الخارجي خلال الفترة ١٨٤٧م - ١٩٤٤م التشجيع على إرسال البعثات التبشيرية المسيحية إلى جميع أنحاء العالم، حيث تم إرسال بعثات عديدة إلى الصين والفلين وأفريقيا طولا وعرضا تحقيقا لذلك. وحظيت تلك الإرساليات التبشيرية بدعم من المؤسسات الدينية ورجال المال والأفراد^(١)، كما نالت المباركة والتشجيع من الإدارات الأمريكية المتعاقبة نظرا للتأثير القوي الذي كان يتمتع به رجال التبشير ومؤيدوهم. ثم إن النشاط التبشيري جاء في ذروة التوسع الاستعماري الأمريكي^(٢)، وخاصة في الصين والفلين. وكان الهدف الرئيسي للمبشرين هو تنصير غير المسيحيين أو اغرائهم بالتحول عن معتقداتهم، وذلك باتباع وسائل شتى تنطرق إليها في الصفحات التالية:

وسوف نحاول في هذا البحث لقاء بعض الضوء على تأسيس الإرسالية الأمريكية العربية والأهداف المتوخاة من وراء ذلك مع التطرق لأساليبها وعطائها للتغلغل إلى عمق الجزيرة العربية تحقيقا لهدفها الأساسي دون التطرق بشكل واسع إلى نشاطها في منطقة الخليج العربي إلا حسبما تقتضيه هذه الدراسة.

انشاء الرسالية :

سبق انشاء الرسالية الأمريكية العربية رسميا عام ١٨٨٩م، فترة دار خلالها نقاش مكثف حول أهمية المبادرة بنشر الديانة المسيحية في الجزيرة العربية. ففي عام ١٨٤٧م تبنى اتحاد مدارس الأحد الأمريكية The American Sunday School Union فكرة تقضي بضرورة البدء بنشاط تبشيري في جزيرة العرب باعتبارها «أكثر الأوطان قدسية وثباتا على دينها من أي قطر على وجه الأرض باستثناء فلسطين»^(٣)، وقد تمخض عن تلك التوصية ميلاد الرسالية الأمريكية العربية. وقد سارعت الكنيسة الإصلاحية الهولندية الأمريكية The Dutch Reformed Church وهي كنيسة بروتستانتية ببنى مهمة القيام بذلك النشاط. ويعزى اقتناع الكنيسة الهولندية ببنيتها للرسالية لجهود البروفيسور لانسج J.G. Lansing الذي كان يدرس العربية والعبية في المدرسة التابعة لتلك الكنيسة حيث أوضح أهمية ذلك النشاط باعتباره أول نشاط تبشيري لها في البلاد العربية^(٤).

وهكذا فمن أجل غزو الاسلام في عقر داره، تقرر انشاء الرسالية الأمريكية العربية عام ١٨٨٩م التي اتخذت من مدينة «نيوبرونزويك» New Brunswick في ولاية نيوجرسي بالولايات المتحدة الأمريكية مقرا لها. وضمت بالإضافة الى مؤسسها (لانسج) ثلاثة من تلامذته المتحمسين لنشاطها وهم جيمس كانتين James Cantine ، وصموئيل زويمر Samuel Zwemer ، وفيليب فليبس Philip T. Phelps^(٥) ومنذ البداية وضع المؤسسون في اعتبارهم صعوبة العمل وضرورة التخطيط السليم والتمييز في أسلوب عمل البعثة عن أساليب عمل البعثات الأخرى نظرا لكون المنطقة مهبط الديانة الاسلامية وقلب العالم العربي، ثم ان شدة تمسك سكانها بدينهم الاسلامي سيدفعهم لمقاومة نشاط الرسالية التبشيري متى ما تكشف لهم الخطط الرئيسة وخاصة في وسط الجزيرة العربية.

عملت الرسالية منذ البداية على اعداد تصور عام لكيفية بدء نشاطها الفعلي في الجزيرة العربية وفقا للمعلومات المتوفرة لديها. وبدا لها أهمية تكثيف جهودها من أجل النفاذ الى وسط الجزيرة العربية مستغلة الأوضاع السيئة

السائدة آنذاك حيث عم الجهل، والفقر علامة على تفكك الوحدة السياسية القائمة حينذاك، وسيطرة بريطانيا على الساحلين الجنوبي والشرقي للجزيرة العربية.

وقد خص (زويمر) ذلك التصور المبني بقوله: يمكن تقسيم شبه الجزيرة العربية الى ثلاث مناطق. المنطقة الأولى تشمل الأجزاء الخاضعة للتنفيذ البريطاني وخاصة عدن وعمان والبحرين والكويت، وقد بدا للارسالية بأنها سهلة الوصول اليها وأكثر المناطق حرية للعمل نظرا للوجود البريطاني الذي لا يشكل عراقيل أو عقبات في وجه المبشرين، وذلك بعكس المناطق الواقعة تحت النفوذ العثماني. أما المنطقة الثانية فانها تشمل الأجزاء الواقعة تحت الادارة العثمانية وتشمل الحجاز واليمن والاحساء والقطيف. واعتقدت الارسالية امكانية مزاوله نشاطها بها وخاصة في المدن ذات الكثافة السكانية مثل جدة والحديدة وصنعاء والنفوذ والقطيف، الا أنها كانت تدرك مدى تأثير الضوابط التي يضعها العثمانيون للنصدي للتبشير كضرورة الحصول على اذن بالاقامة وعدم الجهر بالتبشير وفرض الرقابة على المطبوعات مع الزام أطبائهم بضرورة الحصول على دبلوم طب تركية قبل السماح لهم بممارسة العمل الطبي. وتشمل المنطقة الأخيرة المناطق المستقلة في الجزيرة العربية مثل نجد وجبل شمر وعسير ونجران التي لم يتوفر للارسالية معلومات كافية عنها، ولذلك فانها اعتبرت أدرأجها ضمن مخطط عملها مغامرة قبل أن تتمكن من ايفاد مبعوثين خاصين يجمعون لها معلومات متكاملة يمكن على ضوئها تقرير امكانية العمل من عدمه^(٦). وبناء على ذلك التصور بدا للمسؤولين عن الارسالية أن المنطقة الأولى هي الأنسب لبدء نشاطها التبشيري.

أتمت الارسالية الأمريكية العربية استعداداتها عام ١٨٨٩م بعد اعتمادها رسميا للهدف الرئيسي من وراء تكوينها وهو محاولة الوصول الى مسلمي وسط الجزيرة العربية، وقد كشف جيمس كاتنين عن ذلك الهدف بقوله: «ان هدفنا النهائي هو اقامة على وسط الجزيرة العربية»^(٧). وقد اعتبر ذلك الهدف شعارا للارسالية وحافزا لأفرادها للعمل حثيثا لتنفيذه، ادراكا منهم أن تحقيقه سوف يكون انجازا فريدا وحداثا هاما في تاريخ التبشير المسيحي يفوق أي انجاز آخر يؤمل في تحقيقه من وراء ارسال البعثات التبشيرية الى مختلف أنحاء العالم.

ولبدء وضع مخطط الإرسالية موضع التنفيذ فقد كلفت أحد مؤسسيها جيمس كانتين بمغادرة أمريكا في ١٦ أكتوبر (تشرين أول) ١٨٨٩ الى سوريا ومنها الى السواحل الجنوبية والشرقية للجزيرة العربية، وذلك من أجل اختيار الأماكن المناسبة لبدء عمل الإرسالية. وفي طريقه الى سوريا توقف كانتين في أدنبرة باستكندا للتشاور مع The Free Church of Scotland Committee حول امكانية السماح للإرسالية بالعمل من خلال مركز تلك الكنيسة الموجود آنذاك في عدن. وقد رحبت الكنيسة الاسكتلندية بذلك ولكنها أبدت أنه من الأفضل استقلال الإرسالية بنشاطها قدر المستطاع. وفي ٢٨ يونيو (حزيران) ١٨٩٠م كلفت الإرسالية صموئيل زويمر بالالتحاق بكانتين في سوريا، ومن ثم التوجه الى القاهرة لأخذ التوجيهات اللازمة من (لانسج) الذي كان آنذاك في القاهرة في رحلة خاصة (٨).

غادر (كانتين) القاهرة الى عدن في ١٨ ديسمبر (كانون أول) ١٨٩٠م، ولحق به (زويمر) في ٨ يناير (كانون الثاني) ١٨٩١. ومن عدن افترقا في رحلتين للبحث عن مواضع قدم للإرسالية. فبينما توجه زويمر الى اليمن، مضى كانتين الى لحج ومنها واصل طريقه في رحلة استطلاعية لسواحل الخليج العربي، حيث زار مسقط والبحرين والبصرة، وانتهى به المطاف في بغداد (٩).

وتعد زيارة كانتين تلك بمثابة الانطلاقة الفعلية لبدء عمل الإرسالية في الجزيرة العربية. فبعد دراسة ومفاضلة للأماكن التي زارها بدا له بأن البصرة (١٠) هي أفضل مكان يمكن أن تنطلق منه الإرسالية نحو تحقيق أهدافها التبشيرية، وذلك لكثافة سكانها وسهولة الوصول إليها، وموقعها الاستراتيجي الذي يميزها عن بقية الأماكن التي زارها خاصة وأنها قد تسهل مهمة النفاذ الى عمق الجزيرة العربية، ويتجلى ذلك من رسالة بعث بها كانتين الى مقر الإرسالية يبرر فيها اختياره للبصرة بقوله: «يبدو أن هذا المكان (البصرة) هو الأنسب لفتح ثغرة نحو الهدف» (١١).

ولتحقيق الآمال المعقودة على تأسيس الإرسالية وضمانا لتحقيق مخططاتها، فقد حرصت على انتقاء أفرادها بعناية فائقة، فاختارت من يمتاز بحماس فائق لنشر الدين المسيحي، ويملك بخلفية كافية عن تاريخ المنطقة وظروفها، حيث

حاولت منذ البداية حصر عضويتها في أشخاص تميزوا بثقافتهم الدينية والمهامهم بالدراسات العربية والإسلامية^(١٣). هذا وقد تم إرسال الأفواج الأولى من مبشرها إلى بيروت كمحطة مؤقتة يتم خلالها اتصافهم بالبعثات التبشيرية العاملة هناك، وبغرض الالتام باللغة العربية والافادة من دراسات البعثات المسيحية السابقة وتجاربها والتعرف على خصائص المجتمع العربي^(١٤).

ظلت البصرة ولفترة وجيزة القاعدة الرئيسية لنشاطهم التبشيري في شرقي الجزيرة العربية، إلا أنهم أدركوا بعدئذ أن تركيزهم على البصرة الواقعة تحت الإدارة العثمانية قد لا يتيح لهم تنفيذ مخططاتهم مما جعلهم بالتالي يقررون توسيع نشاطهم وذلك بافتتاح أربعة مراكز جديدة للإرسالية في كل من البحرين عام ١٨٩٢م، ومسقط عام ١٨٩٣م والكويت عام ١٩١٠م وأخيراً المحمرة، كما أنهم حاولوا افتتاح مركز لهم في قطر، إلا أن محاولتهم تلك باءت بالفشل^(١٥).

وبما سهل مهمة افتتاح المراكز الرئيسية في الخليج العربي انتهاء السلطات البريطانية المهيمنة على الخليج في ذلك الوقت إلى المذهب البروتستانتي، وهو المذهب الرسمي لبريطانيا عموماً. وقد يبرر تسهيل بريطانيا لمهمة الإرسالية برغبتها في استخدام مبشرها في خدمة أغراض بريطانيا الاستعمارية في المنطقة. كما أن انزعاج بريطانيا البالغ من تعاضم تأثير دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية ومحاولاتها للتصدي لها، وخاصة بعد أن لمست مدى تأثيرها على مسلمي الهند الذين بدأوا في التصدي للوجود البيطاني من منطلق إسلامي، يمكن إيماده كعامل مؤثر في عدم ممانعة بريطانيا لنشاط الإرسالية، ولا سيما وأن تعاضم تأثير الدعوة السلفية قد أجبر بريطانيا - كما ذكر زويمر - إلى المسارعة بإرسال موفدين من قبلها إلى وسط الجزيرة العربية للدراسة أسس الدعوة وأهدافها عن كتب^(١٥).

وبما ساعد مهمة الإرسالية أن بدء نشاطها قد جاء في فترة ضعف الدولة العثمانية وتعاضم نفوذ الدول الأوربية وتداخلها في شئونها الداخلية. إلا أن العثمانيين - بالرغم من ذلك الضعف - حاولوا التصدي قدر الامكان لنشاطات المبشرين، فقد ذكر (زويمر) أن السلطات العثمانية في البصرة قد قامت عام ١٨٩٢م باعتقال موزعي الانجيل التابعين للإرسالية واقفال حوانيتهم

ومصادرة كتب الإرسالية مع وضع حراسة على مدخل المبنى الذي تشغله الإرسالية^(١٧)، وأنهم كرروا نفس الإجراءات في عام ١٨٩٤م^(١٧). غير أن تمتع مبشري الإرسالية بالجنسية الأمريكية وتدخل حكومتهم وضغطها المستمر على السلطان العثماني أضعف موقف العثمانيين، إضافة إلى أن العثمانيين كانوا يركزون جل جهودهم للتصدي لبريطانيا، باعتبارها عدوهم الأول في المنطقة.

وقد أجمل الدكتور عبد الملك التميمي ود الحكومة العثمانية الرامية إلى احباط مخططات المبشرين أو على الأقل الحد من تأثيرها بقوله: «كان اعتراض السلطات العثمانية الرئيسي هو أن أطباء الإرسالية يجب أن يحصلوا على شهادة دبلوم تركية في الطب، ليسمح لهم بمزاولة العمل هناك.. وكان موقف السلطات العثمانية من المبشرين لا يسمح لهم بمهاجمة الدين الإسلامي أو اللقاء الخطب في الأماكن العامة أو طبع وتوزيع منشورات تشكك في الإسلام.. وقد سبب هذا الموقف بعض المتاعب للإرسالية ولكنها لم تكن من الخطورة بحيث تهدد العمل التبشيري»^(١٨).

أساليب الإرسالية للتغلغل إلى وسط الجزيرة العربية :

كتنت الإرسالية نشاطها من خلال مراكزها الثلاثة في البحرين ومسقط والكويت، حيث كانت تخطط لاستخدامها كمنطلق يسهل منها النفاذ إلى وسط الجزيرة العربية لتنفيذ مخططاتها الرامية إلى تنصير سكانها، أو على الأقل زعزعة معتقداتهم. وقد ركزت وبشكل أكبر على مقرها في البحرين كمركز أساسي يمكن الوصول منه إلى قلب الجزيرة العربية مستغلة موقعها الاستراتيجي الهام، حيث كانت آنذاك الميناء الرئيسي الذي يمون الاحساء والقطيف ونجد بالبضائع التجارية، ولكتبة القادمين إلى البحرين من الجزيرة العربية نظرا لقرب المسافة ولوقوعها في الطريق إلى الهند التي كانت مقصدا للكثيرين من سكان الجزيرة العربية آنذاك طلبا للتجارة والعمل.

اعتمدت الإرسالية خطة مدروسة تتفق وظروف المنطقة وتهدف إلى تمكينها من تحقيق أهدافها. ويمكن أن نحصر وسائل تبشيرها عموما في أسلوبين متميزين هما: الأسلوب المباشر والأسلوب غير المباشر. وسنبحث في الصفحات التالية بشيء من التفصيل منهج الإرسالية في تطبيقها للأسلوبين المذكورين:

الأسلوب غير المباشر :

ابتدأت الرسائل نشاطها بتركيزها على الأسلوب غير المباشر حرصا منها على عدم إثارة الشكوك حول وجودها في المنطقة، رأت ذلك بتقديمها خدمات طبية وتعليمية واجتماعية حرمت منها المنطقة آنذاك، وكانت تأمل أن يؤدي ذلك الى ترحيب السكان بها وتقبلهم بخدماتها، ومن ثم يمكن استخدامها كمنطلق لنشاطها التبشيري السافر.

أ - استخدام الطب لخدمة الأغراض التبشيرية :

وخشية أن يثير وجود الرسائل ونشاطها شكوك السكان في المنطقة خاصة وهي تعلم شدة تمسكهم بدينهم، فقد حرصت منذ البداية على أن تبدأ عملها بتقديم الخدمات الطبية التي أثبتت تجارب الرسائل التبشيرية السابقة في البلاد الاسلامية مدى نجاحها وجدواها كوسيلة هامة لاقتناع السكان المغلبيين بقبول الرسائل وأهمية خدماتها. وقد أوضح (زويمر) تلك الأهمية بقوله :

«ان التجارب التبشيرية للرسائل المسيحية في البلاد الاسلامية الأخرى كالبنجاب وشمال افريقيا وجاوه والبلاد المشابهة للمنطقة التي تعمل فيها الرسائل الأمريكية العربية قد أثبتت مدى قوة ومكانة المراكز الطبية كوسيلة مؤثرة للتبشير وخاصة في حالة توفر الأطباء الجراحين» (١٩) ويؤكد الدكتور بول هاريسون - أحد الأطباء العاملين مع الرسائل على أهمية تركيز المبشرين على استغلالهم المراكز الطبية كمشروع مسيحي تبشيري قبل كونه مشروعا طبيا انسانيا بقوله : «ان المبشر لا يرضى عن انشاء مستشفى ولو بلغت منافع ذلك المستشفى منطقة عُمان بأسرها. لقد وجدنا نحن في الجزيرة العربية لنجعل رجائنا ونساءها نصارى» (٢٠) وانطلاقا من تلك الأهمية فقد أسست الرسائل أكبر مستشفياتها وأشهرها في مدينة المنامة بالبحرين في مطلع القرن العشرين والمسمى The Mason Memorial Hospital ودعّمته بعدد من الأطباء المتحمسين لأهدافها ومخططاتها ومدتهم بجهاز طبي متكامل يكفل له النجاح والشهرة بقينا منها بأن شهرته سوف تسترعي انتباه العديد من سكان شرقي الجزيرة ووسطها وتجعلهم يقدون اليه طلبا للعلاج وقد تحقق لهم

ذلك الهدف بمرور الزمن وخاصة في ظل انعدام وجود رعاية صحية محلية تضاهي خدمات مستشفاهم. فقد ورد في تقرير ذلك المستشفى لعام ١٩٢١م «ان أطباءه قد أجروا ٥٠٣ عمليات جراحية، وعالجوا ما يزيد على ٦٠٠٠ مريض راجعوا المستشفى خلال ذلك العام» وأضاف التقرير «وبالإضافة الى ذلك فقد قام بعض أطباء المستشفى بزيارات علاجية للرياض والمخوف والظهران والقطيف وقطر، وأمضى بعضهم ما يزيد على شهرين في ساحل عمان» (٢١).

وبناء على النجاح الذي أحرزه ذلك المستشفى حيث اتسعت دائرة مراجعته لتشمل الاحساء والقطيف وبعض الأفراد من نجد، ومراعاة للتقاليد المحلية ورغبة في استخدام مجال الطب بشكل أوسع، قررت الإرسالية تأسيس مستشفى جديد خاص بالنساء أطلقت عليه اسم The Mason Memorial Hospital for Women افتتحه رسميا عام ١٩٢٧م، ودعمته بمجهز طبي متكامل.

ولما كانت منطقة الاحساء ذات كثافة سكانية كبيرة، ولقربها من البحرين وسهولة الوصول اليها عن طريق ميناء العقير النشط آنذاك، فقد فكر رجال الإرسالية في ادماجها ضمن منطقة نشاطهم التبشيري بقينا منهم بأن ذلك سوف يساعدهم على تسهيل تنفيذ أهداف مخططهم في الوصول بنشاطهم الى عمق الجزيرة العربية. ولدراسة امكانية تنفيذ ذلك فقد زارها (زويمر) في شهر أكتوبر (تشرين أول) عام ١٨٩٣م قادما من البحرين عن طريق ميناء العقير. ورافق الى المخوف تاجرا من نجد اسماء صالح.

أقام (زويمر) في المخوف مدة أربعة أيام قضاها في جمع المعلومات التي جاء من أجلها. ويذكر أنه قابل نائب الحاكم التركي (عبد الرحمن بن سلامة) الذي أجابته على بعض تساؤلاته، ومنها أفادته عن المسافات بين الاحساء وكل من الرياض ووادي الدواسر وجبل شمر ومكة (٢٢). وأثناء اقامته تلك رسم (زويمر) مخططا لمدينة المخوف صحح بموجبه المخطط الذي سبق وأن رسمه بلغريف للمخوف عند زيارته لها عام ١٨٦٢م (٢٣). وقبل عودته للبحرين قام بزيارة كل من القطيف والكويت. ويبدو أن حصيلة تلك الزيارة لم تكن مشجعة لزويمر، حيث أبدى بعض التخوف من رد فعل العثمانيين في حالة اقدام الإرسالية على القيام

بنشاط تبشيري في الاحساء. الا أن ذلك لم يشن الإرسالية عن مواصلة جهودها الرامية إلى مد نشاطها إلى الاحساء. ففي ١٤ أغسطس (آب) ١٨٩٤م، أوعزت الإرسالية لزومر أثناء وجوده في اليمن بمعاودة زيارة الهفوف مروراً بنجران ووادي الدواسر. لكن سرقة نفوذه ومعارضة العثمانيين حالت دون انتمام الرحلة (٢٤). وقد جاء استرداد الملك عبد العزيز (٢٥)، للإحساء من العثمانيين عام ١٩١٣م ليقتضي على آمال الإرسالية في إمكانية إيجاد موطئ قدم لها فيها.

ونظراً لما كان بين سكان الاحساء والبحرين من روابط تاريخية وأسرية وتجارية يسرت سبل الاتصال الدائم بينهم، فقد لمس سكان الاحساء مدى جدوى الأساليب الحديثة وبالتالي كثرت زياراتهم العلاجية للبحرين، إلا أن عدم قدرة الكثيرين منهم مادياً على تحمل مصاريف السفر والإقامة في البحرين دفعهم إلى الالتجاء إلى الملك عبد العزيز بدعوة بعض الأطباء لزيارة الاحساء تسهيلاً لهم وتوفيراً للعلاج محلياً.

وإدراكاً من الملك عبد العزيز لفائدة الطب الحديث ورغبة في التسهيل على مواطنيه رأى أنه يمكن دعوة بعض أطباء المستشفى المشهورين كلما اقتضت الحاجة القصوى شريطة أن يتم تسقي زياراتهم مسبقاً مع ممثل الملك في البحرين مع التأكيد على رفضه الحاسم بالسماح لهم بتأسيس مراكز طبية دائمة أو إقامتهم فترة تتجاوز فترة العلاج للحالات المعروضة عليهم، وذلك بلاشك ناتج عن شك جلالته في دوافعهم وتخوفه من النتائج المترتبة على طول إقامتهم والتي قد تحقق بعض أهدافهم التبشيرية.

وكان أول الأطباء الذين زاروا الاحساء عام ١٩١٧م بدعوة شخصية من الملك عبد العزيز، هو الدكتور بول هاريسون Dr. Paul W. Harrison وكررت له الدعوة عام ١٩١٨م وبعد ذلك التاريخ تكررت زيارته كلما اقتضت الحاجة، وكان يقبع أثناء تلك الزيارات في المبنى المسمى بالرشدية وهو مبنى حكومي قديم كان يستخدم مدرسة منذ أيام الحكم العثماني. وفي عام ١٩٢٠م، دعا الملك عبد العزيز الدكتور لويس ديم Dr. Louis P. Dame وهو طبيب جراح ماهر ذاعت شهرته وتلا تلك الزيارات زيارات متعددة، وكان ينزل عادة في منزل السيد صالح اسلام مدير مالية الاحساء (٢٦). وكان آخر أطباء المستشفى

الذين دعوا لزيارة الاحساء هو الدكتور هارولد ستورم Dr. Harold W. Storm والذي جاء اليها عام ١٩٤٣، وأقام في منزل الشيخ عبد الرحمن القصيبي. وكان يرافقهم أثناء وجودهم في الاحساء فريق طبي يمكنهم من اجراء العمليات الجراحية والعلاجية. وما لا شك فيه أن أولئك الأطباء قد قدموا خدمات طبية جيدة ولم يثبت أنهم حاولوا أثناء زيارتهم للاحساء القيام بأي نشاط تبشيري (٢٧).

ورغبة في توفير العناية الطبية وخاصة في مجال الجراحة التي لم يكن في المستطاع توفيرها في نجد آنذاك، فقد دعا الملك عبد العزيز بعض أطباء المستشفى المشهورين في مجال الجراحة لزيارة الرياض من وقت لآخر. وقد شجع الملك عبد العزيز على تلك المبادرات الفائدة التي لمسها المواطنون في الاحساء، وعدم تعرض الأطباء لما يمس العقيدة الاسلامية. ومن أولئك الأطباء الذين دعوا الى الرياض الدكتور بول هاريسون آنف الذكر الذي قام بأول زيارته للرياض عام ١٩١٧م ثم عاود الزيارة عام ١٩١٩م. وقد قام هاريسون خلال زيارته القصيرتين باجراء بعض العمليات الجراحية ومعالجة العديد من المرضى في مدينة الرياض أو ممن أحضرهم الملك عبد العزيز من خارجها.

وفي عام ١٩٢١م استدعى الملك عبد العزيز الدكتور ديم والذي ذاعت شهرته في مجال الجراحة لزيارة الرياض، ثم تكررت الدعوة عام ١٩٢٤ وقد قام الدكتور ديم خلالها بمعالجة ٥٥٢ مريضاً واجراء العديد من العمليات الجراحية. وكانت زيارته الثالثة والأخيرة للرياض في عام ١٩٣٣م، وفي تلك الرحلة صحبه زوجته. وما أن تلك الزيارات للرياض كانت تتم على ظهور الجمال وهو أمر لم يتعود عليه الأطباء ومساعدوهم فقد روى أنه أثناء رحلة ديم الأخيرة للرياض، وعند عبور الجمال المحمل بالأدوات الطبية سقط ميكروسكوب طبي وتحطم مما أحنق ديم كثيراً (٢٨).

وبالرغم من أن بعض أطباء الاسالاية اتيح لهم زيارة المملكة الا أن تلك الزيارات كانت تتم بدعوات شخصية من الملك عبد العزيز، وحسب ترتيبات مسبقة تمليها الحاجة الماسة، ومن أجل توفير الرعاية الصحية المتقدمة للمواطنين ولتفترات محددة لا تتعدى في معظمها أكثر من شهرين. ورغم حرص الاسالاية

على سرعة تلبية الدعوات التي تتلقاها من الملك عبد العزيز، واختيارها لأشهر أطبائها مع تجنبهم لاثارة شكوك المسؤولين، وذلك بتركيزهم على الجانب العلاجي فقط.

إن اصرار الملك عبد العزيز على رفض السماح لها بتأسيس مراكز ثابتة في بلاده أو منحهم حرية الزهرة للمملكة قد أحنق المسؤولين عن الإرسالية حيث بدأ أن آماهم في التغفل الى وسط اجزيرة العربية أمر ميثوس منه، وأخذوا ينظرون الى المملكة العربية السعودية كمنطقة حرموا من حرية العمل في أراضيها. وبدأ يتجلى لهم جهلهم التام بالأوضاع السائدة في الجزيرة العربية، حيث تكشف لهم مدى اختلاف النظام السياسي المطبق في المملكة عن الأنظمة الأخرى، وذلك من حيث اعتماده على تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية التي قامت عليها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وتبنيه لها وإقرار الملك عبد العزيز لمشروع توطين البادية وتنقيفهم دينيا. وإن نظاما يتركز على مثل تلك القاعدة العقائدية القوية يصعب خداعه والتغفل في أرضه.

ب - التعليم والفن ونشاطات الكنيسة :

لم ينحصر نشاط الإرسالية غير المباشر للتبشير على المجال الطبي بل تعداه ليشمل مجالات متعددة. ففي المجال التعليمي والثقافي أعطت الإرسالية أهمية كبرى للنواحي التعليمية بشكل متميز، وخاصة في المجالات التي لا تستطيع الحكومات المحلية توفيرها لمواطنيها أو منافستها في تقديمها. ففي الكويت مثلا أنشئت مدرسة خاصة لتعليم المكفوفين باستخدام طريقة برايل. وقد أوكل أمر تلك المدرسة الى الممرضة جوزفين بيرسم Josephine Van Peursem وزوجها القس جرت بيرسم Gerrit Van Peursem (٢٩) كما أنشئت دور خاصة لرعاية الأيتام في كل من البحرين ومسقط والكويت، وكانت تحرص على تبني اللقطاء والحاقهم بتلك الدور. واهتمت بتأسيس المكتبات العامة التي زودت بالعديد من الكتب التي تختارها بعناية فائقة لخدمة أغراضها التبشيرية، مع حرصها على اهداء النشرات والملصقات ونسخ من الانجيل لزوار تلك المكتبات (٣٠). وقامت بتشيد كنائس في مراكز الإرسالية واحاطتها بجبل اهتمامها مع التركيز

على دعوة السكان لمشاهدة الطقوس والصلوات والحفلات التي تقام بها. وكانت تعتمد وبشتى الصور والمغريات الى دعوة المواطنين لحضور صلاة يوم الأحد بشكل خاص، فقد ورد في أحد تقارير الإرسالية الصادرة من مسقط أنه في عام ١٩٢٩م بلغ عدد الأشخاص الذين يحضرون الى الكنيسة يوم الأحد لمشاهدة الطقوس الدينية التي تجري في الكنيسة خمسين شخصاً، وإن أغلبهم قد جاء بدافع حب الاستطلاع^(٣١) كما اهتمت الإرسالية بأن تقيم بين رجالها عدداً من النحاتين والرسمين الذين تفرد لهم حوانيت صغيرة يقومون فيها بصنع عدد من التماثيل للسيد المسيح ومريم العذراء ورسم صور دينية يقومون بعرضها وبيعها بأسعار رمزية.

وقد تميز مركزا البحرين والكويت بذلك النشاط الفني، غير أن سكان الكويت قد أبدوا اشتياقهم لذلك النشاط وتصدوا له بتمزيقهم للصور وتحتطيم التماثيل المعروضة في واجهة الحوانيت^(٣٢). وقد جاء في أحد تقارير الإرسالية الصادر من البحرين ما يدل على رواج تلك الأعمال الفنية الدعائية، فقد ذكر أنه في ختام السنة الأولى لافتتاح مركزهم سنة ١٨٩٢م - ١٨٩٣م، ثم بيع مئتي قطعة، وبنهاية سنة ١٨٩٩م قفز العدد الى ٢٤٦٤ قطعة^(٣٣).

ومما يدل على تصميم الإرسالية على تنفيذ مخططاتها، قيامها بتوسيع نشاطاتها وتكثيف جهودها واستخدامها عدداً كبيراً من العاملين الرسميين في مراكزها، حيث بلغ عددهم في عام ١٩٣٠م ثمانية وثلاثين فرداً يعملون في المستشفيات والمؤسسات الأخرى، حيث كان أهم واجباتهم عرض شرائح مصورة للمسيح على المتدربين على مراكز الإرسالية^(٣٤).

ولتعزيز ممارسة الإرسالية لأي من نشاطاتها داخل الجزيرة العربية، فقد حرصت على تصيد من يراجع مستشفياتها من سكان المملكة ومحاوله اغرائهم بحضور نشاطاتها أو شراء شيء من أعمامها، وبالرغم من ذلك فقد ضاعت جهودهم هباء.

٢ - الأسلوب المباشر :

لم تستمر الإرسالية في إخفاء نواياها وخططها التبشيرية حيث حرصت من خلال مبشريها على انتهاز الفرص الساعية لنفث سمومها. ويتجلى انتهاج الإرسالية

للأسلوب السافر في محاولة تشكيل مسلمي الجزيرة العربية في دينهم في أقبح صوره في الملصق الدعائي الذي صممه وأصدره صموئيل زويمر عام ١٨٩٧م في عمان واستل به عمل المطبعة اليدوية التي أنشأتها الإرسالية في مسقط وطبع باللغتين العربية والانجليزية والذي قال فيه بالنص «محمد والمسيح على أي منهما تعتمد»^(٣٥) وقد أثار توزيعه في عمان غضب واحتجاج السكان كما بادر السلطان العثماني الذي أحرقه ذلك الهجوم الدنيء على مشاعر المسلمين بالاحتجاج الرسمي لدى وزارة الخارجية الأمريكية التي نصحت زويمر بالتخلي عن توزيعه^(٣٦).

كما تمثل ذلك الأسلوب في حرص الإرسالية على استمرار خدماتها الطبية في أوقات الصلاة وخاصة صلاة الظهر والمغرب رغبة منها في أن تصرف مراجعيها عن إقامة الصلاة في حينها، وأملا في أن يؤدي ذلك الى خلق عادة التهاون في إقامة الصلاة جماعة في المساجد ويمكن الرجاء انتاج ذلك الأسلوب الى قناعة المبشرين بختمية قبيل أسلوبهم التبشيري المباشر في تنصير مسلمي الجزيرة ووجوب تركيز جزء كبير من جهودهم على اضعاف الوازع الديني لدى المسلمين أملا في أن يؤدي ذلك في النهاية الى زعزعة المسلمين في عقيدتهم على الأقل.

ويتجلى ذلك الأسلوب في حرص الإرسالية على توصية مبشريها بالتعرض للناس في الشوارع والتجوال بين المدن وحثهم على مخالطة الناس في المقاهي الشعبية والحرص على ارتياد مجالس الشيوخ العامة والتركيز على استخدام أسلوب الجدل^(٣٨). ولا يوضح الأساليب التي يجب على مبشريها انتاجها عمدت الإرسالية الى توزيع دليل ارشادي للتبشير في البلاد الاسلامية ألفه آرثر برنكمان Arthur Brinckman وأسماه Notes on Islam: A Handbook for Missionaries. وخاصة بعد أن تبين للإرسالية جدوى الاستفادة منه في عملها في شرقي الجزيرة العربية، ولا سيما فيما يتعلق بكيفية التأثير على السامعين حيث ينصح المؤلف المبشر بأن: «يحاول أن يخاطب مستمعيه قدر الامكان من مكان مرتفع، وأن يتخذ وضعية الجلوس بدلا من الوقوف وأن يحتفظ برباطة جأشه بحيث لا يبدو منفعلا أو مثارا من جراء حرارة النقاش، لأن الموقف لا يتطلب مواجهة حامية». ويستمر برنكمان في نصحه بقوله:

«يجب أن يسند البشر ظهوره الى جدار وذلك لأسباب عدة. وأنه عندما يضطر البشر الى الدخول في مناقشة دينية فعلية الاستمرار في ثلاثة الدعوات الدينية والتحدث ببطء وتأثير. كما أن عليه عدم التسرع في الاجابة لأنه حين يفعل ذلك فانه سوف ينظر اليه كمجرد مجادل عنيد». ويختم نصائحه بقوله: «ينبغي أن تفكر بتأن في اجابتك ومن ثم طرحها بهدوء وبطء وإذا كان ممكنا فانه ينبغي أن تبدأ اجابتك أو تنهيها باقتباس من آيات القرآن. وإياك والتردد في ايراد ذلك الاقتباس» (١٠).

يتضح من تلك النصائح وخاصة فيما يتعلق بالتركيز على ايراد بعض آيات من القرآن الكريم، مدى حُب البشرين وتضليلهم اذ أنهم وبدون شك سيحصرّون اقتباسهم على الآيات الكريمة التي يرد فيها ذكر عيسى عليه السلام أو التي تشير الى الديانة المسيحية.

ومن الأساليب الأخرى التي انتهجها الرسالية وحرصت على تطبيقها في جميع مراكزها - وخاصة في البحرين، حيث يكثر بها الواقفون لمراجعة المستشفى من الممكنة - استخدامها لغرفة الانتظار والكشف في المستشفيات كبؤرة للتبشير، أن التركيز على عيادات المستشفيات يعود الى قناعتهم في جدواها، حيث ينفرد وجهها لوجه بالمرضى الذي يكون في حالة شد نفسي لما سيلقى عليه. وقد عبر عن ذلك رشت بقوله: «في هذه المناسبات من التطبيب في مستشفى يمكن للطبيب أن يخاطب المسلمين بكلام كثير لو سمعوا بعضه في مكان غير المستشفى ومن شخص غير الطبيب لامتثلوا غيظا وغضباً» (١١).

واستغلالا لتلك القرص شحنت الرسالية معنويات أطباؤها وحفرتهم من تمسكهم بالمفاهيم والأعراف الطيبة التي تحول دون قيامهم بمثل ذلك النشاط الديني المباشر، فقد نصحتهم السيدة ايرا هاريس بأنه «يجب أن ينتهزوا القرص للوصول الى آذان المسلمين وقلوبهم فتكرز» (١٢)، لهم بالانجيل. وإياك أن تضع التطبيب في المسعصات والمستشفيات فانه أثنى تلك القرص على الاطلاق ولعل الشيطان يريد أن يفتك فيقول لك ان واجبك التطبيب فقط لا التبشير، فلا تسمع منه» (١٣)، وقد نتج عن تطبيق ذلك الأسلوب

تحويلهم غرفة الانتظار في المستشفيات الى قاعة محاضرات للتبشير مع الزام كل مريض يراجع الأطباء بضرورة المرور من خلالها. وقد عهدت بالقاء تلك المحاضرات الى نفر من المسيحيين العرب وخاصة العراقيين الذين كان لشبابهم مع اللهجة السائدة في الخليج، ومعرفتهم بكيفية التأثير على السكان أملا من الارسالية بأن يؤدي ذلك على التأثير على مشاعر وعواطف المراجعين.

وعن استخدام قاعة الانتظار، روى لي سعادة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الشعبي مساعد مدير التعليم بالاحساء سابقا، انه كان في زيارة لمستشفى البحرين لمرض ألم به، وفوجيء باصرار المسؤولين في المستشفى على ضرورة مروره بقاعة الانتظار كشرط أساسي للسماح له برؤية الطبيب المعالج. وفي تلك الغرفة التي كانت تكتظ بعدد من المراجعين، دخل في نقاش ديني ساخن لم يرق للمحاضر العراقي مما جعله يبادر فورا بادخاله على الطبيب، مع أنه كان آخر المراجعين حضورا مكتفيا باعطائه نسخة من الانجيل.

وأضاف الشيخ الشعبي بأنه بعد خروجه من غرفة الطبيب بدا له قيام ذلك الحاضر بمراقبته، وتأكد له ذلك حين نزع الأستاذ الشعبي ورقة من الكتاب الذي لا يزال في يده ليضع فيها الأقراص الطبية، حيث سارع اليه مبديا معارضته وطالبا منه الانصراف، خشية أن يؤثر سلوكه هذا على بقية الموجودين في المستشفى. ومن الطريف أنه خلال الأيام التالية لتلك الحادثة، وأثناء تردد الأستاذ الشعبي لانجام علاجه، كان ذلك المحاضر يبادر بادخاله على الطبيب بمجرد رؤيته متجنبيا مروره بغرفة الانتظار.

وداخل غرفة الكشف الطبي، حرص الأطباء على انتهازها فرصة للتبشير فعمدوا الى اطالة مدة الفحص الطبي وذلك باثارة نقاش ديني بينهم وبين المرضى. وكانوا يركزون على الشباب والسذج من الناس. ومما يروى في هذا الصدد الجدل المشهور الذي دار بين أحد الأطباء وأحد المراجعين، يتلخص في أن الطبيب وكعادته في اثارة المناقشات الدينية بادر المريض قائلا انكم يامعشر المسلمين، وحسب ما ورد في كتابكم تؤمنون بأن الله أنقذ عيسى من القتل، وأنه حي يرزق عند ربه وتؤمنون بأن نبيكم قد مات، فمن في رأيك أكثر فائدة

الحى أم الميت؟ وهنا يادره المهض قائلا ولكن كتابنا نص على أن عيسى بشر بني ياتي من بعده اسمه أحمد، فهل هذا هو عيسى الذي تقصده؟ وهنا أسقط في يد الطبيب حيث أجاب بالنفي وأنهى النقاش وعلاج المهض^(١٤). ومن الأمثلة الأخرى لما كان يدور في غرف الأطباء ترديدهم بأن دينهم يأمرهم بأن يكونوا نظيفي القلب والمظهر، دائما بينا الدين الاسلامي لا يأمر بالنظافة الا عند اقامة الصلوات الخمس. وهذا قول مردود وجهل فاضح بما يأمر به الاسلام، وفيه درس وعبت بمكن أن ينظلي على بعض السذج من الناس وخاصة في تلك الفترة التي عم فيها الجهل مع عدم معرفة كثير من السكان لدوافع الأطباء الحقيقة من وراء اثارهم لتلك النقاشات.

ومما يرويه الناس ممن عاصروا تلك الحقيقة، حرص الأطباء على حسن مظهرهم واعتنائهم الفائق بنظافة ملابسهم، مع تركيزهم على اللون الأبيض والتعطر بأحسن الروائح، ومما يروى عن الدكتور ستوم الذي كان آخر من زار الاحساء من أطباء الإرسالية التزامه بارتداء الزي العربي وحرصه على ارتداء العباءة العربية واطلاقه للحجة الكثرة، مما أضفى عليه هبة ووقار بين مراجعيه. ولا شك أن ذلك كان أحد الأساليب التي أوصت الإرسالية أفرادها بالحرص عليه.

ومن الأساليب الأخرى تركيز الإرسالية على اقامة النوادي الرياضية وتأسيس الفرق الكشفية والجمعيات المتعددة. ويتضح من استغلال الإرسالية لهذا الأسلوب التبشيري وخاصة بعد خيبة أملها في موافقة الملك عبد العزيز للسماح لها بأن تمارس في بلاده نشاطا مماثلاً لما تم في مناطق الخليج العربي، محاولتها التحايل بطلب السماح لفرقتها الكشفية بزيارة الأراضي الحجازية سنة ١٩٣٧م. الا أن الملك عبد العزيز كان يقظاً ومدركاً لدوافع الرحلة مما جعله يسارع الى اخطار الادارة الأمريكية برفضه التام لتلك الفكرة مضمناً ذلك في رسالة احتجاج بعث بها الى وزارة الخارجية الأمريكية جاء «اننا نرفض أن تستخدم أرض الحجاز المقدسة لنشر المذهب المسيحي، وان حكومتي لن تتحمل أية مسئولية فيما قد يحدث هؤلاء المغامرين من المبشرين الذين قد يدخلون البلاد بطريقة غير مشروعة لنشر تعاليم الانجيل أو محاولة الدعوة الى الدخول في الدين المسيحي»^(١٥).

التورط السياسي للإرسالية وعلاقتها بالاستعمار :

من الثابت وجود علاقة متينة بين التبشير والاستعمار. فإن مجرد سماح بريطانيا للإرسالية بتأسيس مراكز دائمة للإرسالية الأمريكية العربية في الخليج العربي، وإن تم ذلك بعد تردد في البداية خشية أن تكون مقدمة لنشاط أمريكي رسمي يهدف إلى تثبيت أقدامه في المنطقة، ما كان إلا بعد دراسة أكدت استفادة بريطانيا من جهود رجال الإرسالية وخاصة في مجال جمع المعلومات عن الأحوال السائدة في الجزيرة. يتضح ذلك جليا من اصرار بريطانيا على أن تخضع الإرسالية لها مباشرة، وتوافيها بنسخ من تقاريرها ونشاطاتها^(٤٦).

ويعترف (زويمر) صراحة بأن «الأبواب المفتوحة التي تؤدي فعلا إلى الاسلام، إنما هي المستعمرات التي يعيش فيها المسلمون تحت حكم مسيحي»^(٤٧). وقد حظيت الإرسالية الأمريكية بجانب الحماية البريطانية بدعم الحكومة الأمريكية ممثلا في سفاراتها وقنصلياتها مما سهل مهمتها، وذلك حسب اعتراف بول هاريسون بقوله: «ما لم يحصل المبشرون على حماية الحكومات الغربية بقوتها الحربية فانهم لن يتمكنوا من اعلان رسالتهم المسيحية»^(٤٨).

ومن خلال مراجعة تقارير أعضاء الإرسالية يتضح مدى تورطهم السياسي وانصرافهم عن التركيز على الجانب التبشيري، وهو هدفهم المعلن، إلى تكثيف جهودهم على جمع معلومات سياسية واجتماعية واقتصادية يمدون بها حكوماتهم والتي تعتمد عليها في صياغة سياساتها تجاه المنطقة. ومن أشهر تلك التقارير، تقرير أعده بول هاريسون يحلل فيه بالتفصيل الأوضاع السياسية والاجتماعية ووضع القبائل في شرقي الجزيرة العربية وقد اختتم هاريسون تقريره بتقديم نصحه إلى الحكومة البريطانية عن الكيفية المناسبة لسيطرتهم على المنطقة^(٤٩). كما أن التقرير السياسي الذي كتبه الدكتور لويس ديم إثر زيارته للرياض عام ١٩٢١م، وبعث به لوزارة الخارجية الأمريكية يعطينا مثالا واضحا لتورط رجال الإرسالية في المجال السياسي. وهنا تجدر بنا الإشارة إلى جهل بعض أفراد الإرسالية بالأوضاع السياسية والاجتماعية في المنطقة وخاصة فيما يتعلق بوسط الجزيرة العربية - يتضح ذلك جليا من تقرير الدكتور ديم المشار إليه، والذي

يصف فيه حملة الملك عبد العزيز ضد ابن الرشيد أمير حائل حيث قال الدكتور ديم: «ان خسارة الاخوان كبيرة جدا وان حكومتهم تقريبا في حالة افلاس. ان مصير الحملة أمر مفروغ منه وسوف يتحقق ذلك خلال أشهر قلائل. واذا تحقق هذا فانه يعني نهاية نفوذ وهبة ابن سعود الى حد كبير، وفي الوقت نفسه يعني أن شريف مكة سوف يكون في مأمن نتيجة لذلك» (٥٠). وقد أثبت الأحداث عكس ما توقعه ديم تماما.

وكانت وزارة الخارجية الأمريكية تعتمد على رجال التبشير وتعتهم على موافاتها بتقاريرهم باستمرار خاصة في تلك الفترة التي تميزت بعدم وجود نشاط دبلوماسي أمريكي متكامل في المنطقة. وقد رحب المبشرون بالقيام بذلك الدور من منطلق أن ذلك لا يتعارض مع مفهوم الوجود التبشيري فالسيدة ر. ناهركر تعترف في مقابلة لها مع الدكتور عبد الملك القيسي جرت في شهر أكتوبر (تشرين أول) ١٩٧٤م «اننا أحيانا نكون لنا نشاط سياسي - لقد حاولنا أن نكون مواطنين صالحين وسفراء لبلادنا الى جانب قيامنا بخدمة الله باخلاص» (٥١). وقد أسبغت وزارة الخارجية الأمريكية على المبشرين هالة من التقدير والأهمية حيث حرصت على اظهارهم في الصورة دائما بدعوتهم الى المناسبات الرسمية التي كانت تقيمها بعثاتها في المنطقة. فقد روى لي بهذا الخصوص الاستاذ عبد الله الشعبي، انه خلال احدى زيارته للبحرين قام بزيارة للشيخ عبد الرحمن القصبي ممثل المملكة هناك، والذي أصر عليه بمرافقته لتلبية دعوة غداء تلقاها من القنصل الأمريكي والتي ستقام على ظهر احدى السفن الأمريكية. وانه أثناء تجوالهم على ظهر السفينة وقبل تناولهم طعام الغداء فوجئوا بظهور الدكتور بول هاريسون فجأة والتصافه بهم وحرصه على ملاحظتهم والاحتفاء بهم.

ان احدى نتائج تورط المبشرين في السياسة وامدادهم الحكومة الأمريكية بتقارير يغلب على معظمها الدس والتشويه ما تلمسه اليوم من تشويه لصورة العالم العربي لدى الرأي العام الأمريكي. ومن المؤسف له أن يتباهى المبشرون - وهم من يفترض فيهم كرجال دين أن يلتزموا بجانب الصدق - بدورهم في التأثير على الشعب الأمريكي ورسم خاضع، للأمة العربية وحضاراتها وهذا ما يؤكد جون دي نوفو بقوله: «ان المبشرين هم المرأة التي يرى الأمريكيون من خلالها الشرق الأوسط وكانوا كثيرا ما يطلبون الدعم الدبلوماسي من الادارة الأمريكية ويحصلون عليه» (٥٢).

فشل الإرسالية ونهاية عملها في المنطقة :

بعد عمل مضن وجهد متواصل دام قرابة نصف قرن من الزمن تبين للإرسالية وبوضوح تام وخاصة منذ عام ١٩٤٠م بأن آمالها كانت مجرد سراب كاذب ولا سيما بعد اكتشاف النفط وبكميات هائلة في شرقي الجزيرة العربية، منبها بذلك حالة الفقر واليؤس والمعاناة والتي كانت الإرسالية تركز على استغلالها خدمة لأهدافها التبشيرية. وقد راقب رجال الإرسالية بحسرة وأسى وذهول اكرام الله لسكان المنطقة بتدفق النفط واعتبروا ذلك بمثابة الضربة القاصمة لاستمرار نشاطهم.

ان خير مثال على عدم غبطة الإرسالية أو ترحيبها بعصر النفط قد صوره لنا بول هاريسون، أحد أقطاب الإرسالية في البحرين، وهو يترحم على سنوات الفقر وشح الموارد الاقتصادية التي طبعت حياة الانسان المخلين باليؤس والمعاناة بقوله: «ان العربي يشبه الصقر، فنحافته واستطالة جسمه القوي قد تكونت لتساعده على تحمل الاجهاد والمعاناة، وتحكي تقاطيع وجهه قصصا مليئة بشتى صور الجوع والفقر والبراءة. بكثير من اللطف وهذا ما كنا نتوقعه»^(٥٣). وقد حاول رجال الإرسالية أن يعزوا فشل مهمتهم التبشيرية الى موضوع تدفق النفط وهو ما عناه بول هاريسون حينما قال في عام ١٩٤٠م «ان قطب الحياة لم يعد مراكز العبادة ولكنها تتمركز الآن حول جهاز حفر آبار النفط»^(٥٤). وقد جانب هاريسون الصواب في اصدار حكمه هذا وذاك بانخاذه من النتائج التي صاحبت التغيرات المادية في المجتمعات الغربية مثلا يمكن تطبيقه في هذه المنطقة الاسلامية متجاهلا الاختلافات الدينية والحضارية بين المجتمعين ولا سيما وأنه قد أمضى فترة طويلة مع الإرسالية في المنطقة. كما يتضح أيضا روح التبشير المفعمة بهكراهية الاسلام والمسلمين والحقده عليهم وقد تجلّت في صياغة ذلك الحكم والذي أصدر خصيصا لاقناع الرأي العام المسيحي لفشل الإرسالية وانسحابها من المنطقة.

وبالرغم من أهمية عامل النفط حيث يمكن الحكومات المحلية من توفير الخدمات الصحية والتعليمية والاجتماعية مع توفيره لفرص عمل هائلة الا أنه لا يمكن التسليم بأنه كان العامل الحاسم لفشل التبشير كما يزعم رجال الإرسالية.

ان هناك عوامل رئيسية أفشلت محاولات المبشرين الرامية الى تنصير مسلمي الجزيرة العربية أو زعزعة تمسكهم بعقيدتهم السمحة. وأهمها العامل الديني. فمسك المسلمين بدينهم وإيمانهم القوي كان الصخرة الصماء التي تحطمت عليها آمال رجال الإرسالية وجهودهم التبشيرية اليائسة. لم يغيب هذا العامل عن أذهان كثير من المطلعين على خطط الإرسالية منذ البداية. فقد اعترف (زويمر) بأن الإرسالية تعرضت لنصح وتحذير من قبل العديدين قبل بدء عملها في شرقي الجزيرة العربية. فلقد حاول الناصحون أن يثبوا الإرسالية عن تنفيذ مخططاتها بقينا منهم بأن عملية التبشير مجرد مضبعة للوقت والجهد في تلك المنطقة التي أكرم الله سكانها بديانة سماوية سامية ولأنهم يبدون نفس الآله وأنه من الأجدر بالإرسالية توجيه جهودها نحو مناطق لانزال تدين بالوثنية^(*). لكن تلك النصائح لم تلق اذنا صاغية. ثم ان لنفور السكان المحليين من التعامل مع المبشرين باعتبارهم نصارى ولاختلاف الديانة السماوية واللغة والطباع عامله المؤثر في افشال التبشير. يضاف الى تلك العوامل، الموقف الحازم للملك عبد العزيز والمتمثل في رفضه السماح للإرسالية بتأسيس مراكز لها على أراضي المملكة والذي نتج عنه افشال مخططات الإرسالية للتغلغل الى داخل الجزيرة العربية، وجعلها منطقة يحرم عليهم العمل فيها، ولاسيما بعد استرداده للاحساء عام ١٩١٣م والتي كانت تزاود رجال الإرسالية الآمال في أن تكون منفذهم الرئيسي الى عمق الجزيرة العربية.

وهكذا أجهضت تلك العوامل مجتمعة مخططات وآمال الإرسالية وجعلتها تقرر رسميا في عام ١٩٤٤م تصفية نشاطاتها نهائيا، بعد أن أصيبت بخيبة أمل كبرى. ورحلت عن المنطقة وهي تجر ذيل الفشل الذريع لجهود مضنية دامت خمسون عاما ولم تسفر عن أي نجاح يذكر اللهم الا تظاهر ثلاثة أشخاص أحدهم أعمى وثانيهم كسيح وآخرهم مختل في عقله بالتحول الى المسيحية. وبذلك طويت صفحة سوداء من عمل تبشيري استعماري فشل في تحقيق أهدافه التي رسمها لنفسه منذ البداية.

● الهوامش والتعليقات ●

(*) ان استعمال كلمة (تبشير) التي روج لها العربون والتي يقصدون بها بث الأفكار والعقائد المسيحية لا تنطبق في اعتقادنا على نشاط الإرسالية الأمريكية العربية في شرقي الجزيرة العربية لكونها منطقة أكرمها الله بالإسلام دينها، لكننا نستعملها هنا اضطرارا لشبوح استعمالها.

- (١) كتاب الداعم المادي القومي للإرسالية، أصبح تقرير رسمي للإرسالية عام ١٩٢٠ بأن رحلتنا تمكنا من جمع مبلغ ٣٨٨٨٨ دولاراً في حملة قاموا بها في مقاطعة Sloush في ولاية لويسيانا بالولايات المتحدة الأمريكية في حملة حطفتنا أثناءها لجمع مبلغ ٥٠٠٠ دولار انظر :-
Calverley Papers, Box 146, Document 49417, Box 119, Document 57615.
- (٢) Joseph J. Malone, *America and the Arabian Peninsula: The First Two Hundred Years*, *The Middle East Journal*, vol. 30, No. 3, (1976) P. 412.
- (٣) Anon, *The Arab and his Country*, (Philadelphia: the American Sunday School Union. 1847.) P7.
- (٤) وفي هذا دليل على تافس المذاهب المسيحية في ميدان التبشير وحرص كل مذعب على نشر معتقداته على حساب المذاهب الأخرى.
- (٥) الدكتور عبد الملك الهبي، النشاط السياسي للمبشرين في منطقة الخليج العربي، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٢٠ من ١٩٨٣.
- (٦) Samuel M. Zwemer, *Arabia, The Cradle of Islam* (New York: Fleming H. Revell Company. 1900) PP. 376 - 377.
- (٧) Ibid, P. 357.
- (٨) Ibid, P. 359.
- (٩) Malone, Op. Cit., P. 413.
- (١٠) كان هناك عوام مبدئي حول اختيار أول موظف، قدم للإرسالية في الجزيرة العربية، فقد كان زعيم يحصل أن تكون حسنة، هي النظر الأول بالنظر لطيب مناحها وموقعها المناسب، ولذا قام بيارتيا مؤسس وذلك في عام ١٨٩١ وعام ١٨٩٤م، ولكنه لم يصحبه العمل مع وجود الحكيم المحلي.
- (١١) Malone, Op. Cit., P. 413.
- (١٢) Zwemer, Op. Cit., P. 389
- (١٣) الهبي المصدر السابق، ص ١٠٣.
- (١٤) المصدر السابق ص ١٠٤.
- (١٥) Zwemer, Op. Cit., P. 192.
- (١٦) Ibid. 362.
- (١٧) Ibid. 364.
- (١٨) الهبي، المصدر السابق، ص ١٠٨.
- (١٩) Zwemer, Op. = Cit., P. 343.
- (٢٠) Paul W. Harrison, *Doctor in Arabia*, (New York: John Day: 1940). P. 277.
- (٢١) Calverley Papers, Box 149 Document 69635.
- (٢٢) Zwemer, Op. Cit., P. 114.
- (٢٣) Ibid. P. 133.
- (٢٤) Ibid. P. 68.
- (٢٥) أطلق لقب الملك على السلطان عبد العزيز وذلك قبل أن يلقب بهذا اللقب ربما بعد توحيد المملكة العربية السعودية عام ١٢٣٢م. وبعد ذلك إلى أن البحث يشمل الفترة ١٨1٧ - ١٩11م.

- (٢٦) يقدم مكانه حالياً مبنى الحرم.
- (٢٧) أكد لي ذلك أكثر من مصدر وخاصة فضيلة الشيخ يوسف الماركة والشيخ أحمد الملا وهما من المهتمين بتاريخ المنطقة وهم يعتمد عليهم في ذلك. وقد قابلتهما في ١٠ / ١٠ / ١٩٨١م.
- (٢٨) روى في ذلك الأستاذ إبراهيم بن عبد الرحمن الشعبي مدير مدرسة الملك فيصل أثناء مقابلاتي له في ١٠ / ٨ / ١٩٨١م.
- (٢٩) Malone, Op. Cit. P. 407.
- (٣٠) كانت سح الإخيل تأتي من مطابع العتات الشيبية في كل من مصر وسوريا.
- (٣١) Malone, Op. Cit., P. 414.
- (٣٢) Calverley Papers, Papers, Box 149, Document 69835.
- (٣٣) Zwemer, Op. P. 365.
- (٣٤) Calverley Papers, Box 146, Document 69417.
- (٣٥) Zwemer, Op. Cit., P. 366.
- (٣٦) Malone, Op. Cit., P. 414.
- (٣٧) Ibid.
- (٣٨) Zwemer, Op. Cit., P. 384.
- (٣٩) Ibid.
- (٤٠) Ibid.
- (٤١) الدكتور مصطفى الخالدي والدكتور عمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية. الطبعة الخامسة (بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٧٣)، ص ٦٦.
- (٤٢) نكرز بمعنى نفض.
- (٤٣) الخالدي وفروخ، المصدر السابق، ص ٦٩ - ٦٣.
- (٤٤) سمعت هذه الرواية من أكثر من مصدر. وعند سؤالي للشيخ يوسف بن راشد الماركة - وهو مؤرخ ثقة - أكد لي بأنه سمع بنفس الرواية.
- (٤٥) Foreign Relation 1928, P. 63.
- (٤٦) القحبي، المصدر السابق، ص ١٠٧.
- (٤٧) الخالدي وفروخ، المصدر السابق، ص ١٤٦.
- (٤٨) القحبي، المصدر السابق، ص ١٠.
- (٤٩) المصدر السابق، ص ١٠٩.
- (٥٠) Calverley Papers, Box 146, Document 69833.
- (٥١) القحبي، المصدر السابق، ص ١٠٩.
- (٥٢) المصدر السابق، ص ١١٣.
- (٥٣) Paul W. Harrison, The Arab at Home, (New York: Crowell, 1924) P. 8.
- (٥٤) Paul W. Harrison, Doctor in Arabia, P. 300.
- (٥٥) Zwemer, Op. Cit., PP. 391 - 392.